

الضفة: الاستعداد للمواجهة القادمة

ماذا يعني هذا؟!

لا نقاش في أن انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠، جعلت الإسرائيليين يدفعون ثمناً كبيراً على الصعد السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، والحديث عن الخسائر الإسرائيلية بسبب الانتفاضة يطول، وهو ما أرغم شارون على الخروج من غزة بعد توفّر ما يشبه الإجماع الصهيوني على فشل خيار إنهاء المقاومة أو الانتصار عليها أو كسر إرادة الشعب الفلسطيني بعد كل عمليات الاغتيال والتوغل، ما دفع شخصيات صهيونية كثيرة إلى التحذير من مستقبل خطر ومؤلم ينتظر الكيان إذا أصرّ زعماءه على سياستهم المتبعة، وهو ما دفع شارون إلى «ابتكار» خطة الفصل.

من الناحية الاستراتيجية يمكن -إسرائيلياً- الخروج من غزة، أما من الضفة فهو بمثابة الاستحالة، لكل الأسباب التي ذكرناها.

بعد غزة، وقبلها، وأثناء الانسحاب منها يعمل الاحتلال على تجذير وجوده في الضفة حتى لا يخرج منها أبداً، عبر تسريع الاستيطان وتهويد القدس وخطط الضم الكثيرة وسلب الأغوار، وبناء الجدار وتطوير المدن الفلسطينية، ما يمنع الحراك السياسي والعسكري على الفلسطينيين.

خطة الاحتلال للمرحلة القادمة في الضفة ستكون منع المقاومة في الضفة من التقاط أنفاسها كي لا تتمكن من امتلاك صواريخ أو أسلحة نوعية، ورفع مستوى سياسة العقاب ضد الفلسطينيين، والتسريع في إجراءات الاستيطان والتهويد.

أما من الناحية السياسية فلن تنطلق المفاوضات مجدداً، ولن يسمح الاحتلال بإقامة دولة بعدما صار التواصل الجغرافي والسكاني في الضفة معقداً. ويخشى من أن يعمل الاحتلال على إلهاء الفلسطينيين بالانسحاب من غزة وأن يخلق هناك لهم مشاكل يومية، أو أن يخدعهم بحكاية النموذج/التجربة، كي يبرهنوا عن استعدادهم لضرب المقاومة ويباشروا بذلك، عارضاً على السلطة قطعة من الضفة تكمل جزئي الدولة «غزة-الضفة». لكن من الصعب أن تنطلي هذه الخديعة على الشعب الفلسطيني والمقاومة. وأمام ما نسمعه عن اتجاه المقاومة لتفعيل حركتها في الضفة ندرك صعوبة المعركة القادمة، ولنلمس الاستعداد للمواجهة، لكن هذه المرة يتفاعل الفلسطينيون أكثر. ■

تمثل الضفة الغربية أهمية استراتيجية في مختلف الصعد، فأقرب نقطة بين حدود الضفة الغربية نزولاً باتجاه الغرب إلى عمق الكيان الصهيوني ووصولاً إلى البحر تتراوح بين ١٢-١٥ كلم، وتطل جبال الضفة الغربية على عمق المناطق الصهيونية وتشرف بالكامل على أكثر من ٤٠٪ من مساحة الشريط الغربي.

تحتوي جبال الضفة الغربية على مخزون مائي كبير ورغم أن المنطقة جبلية من الناحية الغربية إلا أن الضفة تتمتع بإنتاج زراعي وفير وخاصة في مناطق الأغوار.

تفصل الضفة الغربية الكيان الصهيوني عن الحدود الشرقية، الأردن، أو ما يسمى بالجبهة الشرقية، وهي في العلم العسكري مانع استراتيجي أو سد طبيعي يعيق تقدّم العدوان.

تحتوي الضفة الغربية على أماكن مقدسة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود، ويعيش في الضفة ما يزيد عن مليوني فلسطيني، وتتصف الحياة الاجتماعية والإنسانية في الضفة الغربية بالتطور، بسبب انتشار الجامعات والمدارس والمعاهد والصحف ومراكز الدراسات والأبحاث ومؤسسات المجتمع المدني. والوضع الاقتصادي في الضفة متطور ففيها البنوك وغرف التجارة والصناعة. ويقوم تجارها علاقات اقتصادية واسعة، وهي بصفتها ممراً نحو الشرق لعبت دوراً حساساً في الاستفادة من الخبرات والتواصل الثقافي والحضاري والتاريخي.

المجتمع الديمقراطي في الضفة الغربية يتمتع بالحيوية، فأهل الضفة عرفوا الانتخابات الحرة والمباشرة منذ زمن، واختيار الهيئات النقابية والاتحادات تخضع للانتخاب المباشر. أما التحصيل العلمي في مختلف جوانبه فهو متقدّم في الضفة الغربية بشكل لافت.

في العمل السياسي لعبت الضفة دوراً مباشراً وأساسياً في حركة النضال الفلسطيني، وبالتحديد في ثورة البراق والقسام وعبد القادر الحسيني وصولاً إلى نشوء الفصائل اليسارية والحركات الإسلامية.

أثناء الانتفاضة أبلى أهل الضفة الغربية بلاء حسناً بعد شرارة غزة، وأدخلوا السكنين ومن ثم العبوات إلى أدوات المواجهة، ويسجل لأهل الضفة الغربية أنهم أمدوا مسيرة الانتفاضة بأعداد كبيرة من الشهداء والاستشهاديين والجرحى والأسرى والمطاردين.

الاعتقالات والاعتقالات للكوادر العسكرية وكذلك تدمير البنية التحتية لها.

أضاف «المقاومة الفلسطينية في المرحلة القادمة مطالبة بنقل تكنولوجيا الوسائل القتالية والخبراء والتجارب لأجنحتها العسكرية في الضفة الغربية، ونعتقد أنها لن تعدم الوسيلة لذلك».

ضمانات إسرائيلية

وحول حصول فصائل المقاومة الفلسطينية على أية ضمانات بعدم عودة (إسرائيل) لتنفيذ عمليات اغتيال بحقها بعد الانسحاب من غزة، قال أبو زهري: «الاحتلال لم يحترم أية ضمانات أعطاهما سابقاً، ونحن أصلاً لسنا معنيين بالحصول على ضمانات، وأي مساس بأي من قادة المقاومة سيدفع الاحتلال ثمنه باهظاً، فالأصابع ما زالت على الزناد».

ويوافقه الدكتور أبو حشيش الرأي، قائلاً «التجربة علمتنا أن العدو الصهيوني لا أمن ولا أمان له ولا يلتزم بعهود ولا مواثيق، وبرأيي أنه لا ضمانات لحياة أحد تريد حكومة العدو تصفيته».

السلطة والمقاومة

وعن الدعوات المطالبة بإنهاء المقاومة وتسليم سلاحها في غزة للسلطة الفلسطينية، يقول الإعلامي الفلسطيني مصطفى الصواف «فلنفرض أنه تم تسليم سلاح المقاومة إلى السلطة كما يرى البعض حتى لا يكون هناك سلاح إلا سلاح السلطة وأنه لم يعد لهذا السلاح ضرورة، نسأل أنفسنا لو حدث عدوان إسرائيلي هل ستقوم السلطة عندها بتسليم قوى المقاومة أسلحتها للدفاع عن الشعب الفلسطيني؟».

وفيما يتعلق بمصير أفراد الكتائب العسكريين، ومسألة انضمامهم للأجهزة الأمنية الفلسطينية، فقد أكد أبو عبيدة القائد في القسام أنه لا يوجد في برنامج الكتائب أية أجنحة للانضمام لأجهزة السلطة الفلسطينية، لأن أجهزة السلطة أثبتت عدم نجاعتها، وانعدمت الثقة بها من قبل أبناء الشعب الفلسطيني. وأشار أبو عبيدة إلى أن كتائب القسام ستسعى لعدم حدوث أي صدام مع السلطة إذا ما استمرت الكتائب بعملها المسلح.

وحول موقف كتائب شهداء الأقصى من دعاوى السلطة بضرورة اقتصاص السلاح على سلاح السلطة فقط قال «أبو عدي»: «سلاح شهداء الأقصى مهما طال حمله فهو بالفهم العلمي والنضالي سلاح شرعي يحمي مؤسسات الوطن من عبث العابثين. ■